دور الأدب في تنمية المجتمع

سالم مولود سالم أبوقبة ـ كلية الاقتصاد العجيلات ـ جامعة الزاوية

مُقـدمـــــــــة :

يَلعبُ الأدب دوراً مُتميزاً في المُجتمع ، حيثُ يقومُ بِرفع وعي الفَرد باعتباره وسيلة مِن وسائل بث الوعي الفِكري والجمالي بِرسالتهِ الأدبية والجمالية ، وإن النَظر لِمفهومِ الأدب قد تَوسع حتى أصبحَ سِلاح في يد مَن يَملكه ليعملَ بِهِ ما يُريد في المُجتمع ، لِذلك يجب أن يتم استيعاب دور الأدب وأهميته لِنقطف مِنه الثَمرة التي نُريد ، ونتجنب بِهِ تأثيره الهدَّام على مجتمعنا .

فالأدب إذا كلمة تحمل معنيان : معنى مادي مِن ، أدبَ مأدُبَةً ، بِمعنى أولمَ وليمةً ، ومعنى روحي تَطور مع الزمَن ، فقد مَرت هذه الكَلمة بِمراحِلَ عديدة وتَطورت في مفهومها ، فقد كانت مَعروفة في العَصر الجاهلي بِمعنى الخُلق النَبيل الكَريم ، وما يتداوله العامة والخاصة في حياتِهم ، وجاء في المأثور : **(كادَ الأدبُ أن يكونَ ثُلثي الدين)** وشاع استعمالها وتَعددت مشتقاتها ، وتمايزت معانيها في العَصر الأموي مع توسع الثقافة ، فقد أصبح لفظ **(مؤدب)** يُطلق على جماعة المُربين والمُعلمين لأبناء الطَبقة الخاصة ، ورغم تنوع مفهومها ظلت كِلمة أدب ذات معاني لصيقة بالشمائل ، فالأديب هو المؤدب ، وهو مختلف في تلك الفترة عن الشاعِر وعن الناثر ، فمن غَلُب عليه درس الأدب أو تدريسه سُمي أديباً ، ومن نظم الشِعر سُمي شاعِراً ، ومن كتب النَثر سُمي ناثِراً (1) .

أما اليوم فقد تَغيرت الأحوال وتبدلت المفاهيم، فالأدب اليوم يَعني : كلُ ما عَبَّر عن معنى مِن معاني الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامِع أو القارئ التجارب والانفعالات النفسية التي يشعر بِها المتكلم ، فالأدب عِلمك يضم أُصول فن الكتابة النَثرية والشِعرية المتأثرة بالعاطِفة والمؤثِرة في العاطِفة ، فصار الأدب مِرآة لِنفس الأديب الذي يَعكِسُ بِها حقائق ومتطلبات يحتاج إليها الشَعب ، نابِعة مِن أعماق المُجتمع ، صادرة عن أحد ينابيع الفِكر ، الذي يَرهفُ بِها قَلمٌ مُعبرٌ مُتميز، فالأدب فِكرة وأسلوب ، مَضمون وشَكل ، وهو فِكرة مِن واقع المجتمع أو مِن أحلامه، وهو أسلوب فيهِ براعة وجاذبية ورشاقة وموسيقى ، يتكون مِن ذلك كله أدبُ أمةٍ وأدبُ شَعبٍ، وإذا قُلنا أدبُ العَربِ ، أدب الهُنودِ ، أدب الإنجليز ، تَجمع لدينا مَفهوم دقيق واحد ، هو مجمل الآثار الكتابية التي يقدمها أديب هذه الأمة ، مُعبراً بِها عن طُموحها وأحلامها وآمالها (2) .

والأديب هو ذلك الرجل الذي صَهر عواطفه جميعها في بوتقة الناس وحاجاتِهم، فينفذ إلى أغوارِ مشكلاتهم فيصدق في الإحساس وفي التَعبير عنها، والمشاركة في إيجاد الحُلول المناسِبة لها، ومن غير الأديب الذي له علاقة بتنمية مجتمعه الذي يَعيشُ فيه، ووعيهُ بِما يَجري حوله وكَشفه ما بَخص المجتمع، وما يَخفى عن الآخرين، كما ولا يَخفى على أحد بأن الأدب هو فن مِن الفُنون الجَميلة التي تَعكسُ مظهراً مِن مظاهر الحياة الاجتماعية، ووسيلةُ الأدب للتَعبير عن هذه المظاهر للحياة الاجتماعية هي الكلِمة المُعبرة الموحية سواء كانت هذه الكلِمة منثورة أو منظومة، فالأدب هو تعبير عن موقف إنساني أو عن تجربة إنسانية ينقلها الأديب ويَبغي مِن ورائِها توثيق ذبك الموقف وفائدة المُتلقي، والكلِمة هي واسطة العِقد بين المُبدع والمُتلقي أو بين الأديب والمجتمع الذي نَعيش فيه وقديماً قالتِ العربُ **(في البدء كانت الكلمة)**، والأديبُ لا يُطلب مِنه في أدبه أن يَعكس علاقات مجتمعه وأوضاعه فَحسب ، بل يُطلب مِنه أن يشارك في تَكييف مجتمعه بحيث يصبح جزءاً لا يتجزأ مِن كل ما يَجري فيه مِن مشاكِل وقضايا ومعارك (3) .

والأدب بِكل أنواعِه **(شعر ـ قِصة ـ رِواية ـ مَقالة)** له تأثير خَفي على مشاعِر الإنسان إذا تم استغلال الأدب في ذلك أحسن استغلال، ولعل في قصيدة الأعشى (4) التي مدح بِها رسول الله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيرُ شاهِدٍ على ذلك، حيث وفد الأعشى **(أبو بصير)** إلى النبي محمد **ــ صل الله عليه وسلم ــ** ومدحه بِقصيدته الطويلة والتي يقول فيها مخاطباً ناقته التي ركبها للوصول إلى رسول الله **ــ صل الله عليه وسلم ــ وإعلان** إسلامه حيث يقول :

فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تزور محمّدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقي من فواضله يدا
نبي يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغيب ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا **(صناجة العرب)** ما مدح أحداً قط إلا رفع قدره ، فلما وردَ عليهم ، قالوا له : أين أردت يا أبا بَصير ؟ قال: أردتُ صاحِبكم هذا لأسلم، قالوا: إنه يَنهاكَ عن خِلال ويُحرمها عليك قال: ما هي ؟ ، فقال أبو سفيان بن حرب (5) : الزنا ، فقال : لقد تركني وتركته، ثم ماذا ؟ قالوا القُمار، قال: لعلي إن لاقيتهُ أن أُصيب مِنهُ عوضاً مِن القُمار، ثم ماذا ؟ قالوا : الرِباء، قال: ما دِنتُ ولا أدنتُ ثم ماذا ؟ قالوا الخَمر، قال: أرجع إلى صبابة قد بَقيت في المِهراس فأشربها، فقايضه أبو سفيان بِمائة مِن الإبل يأخذها ويرجع ، فأنكرت قريش على أبي سفيان ذلك

فقال: يا معشر قريش، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً وأتبعه ليضرُمن عليكم نيران العرب بِشعره ، فأجمعوا له مائة مِن الإبل، فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع قرية يقال لها (**منفوحة**) رمى بِهِ بَعيره فقتله (6) ، وهذا إن دل فإنما يدل على القيمة التي أولاها العرب لهذا الفن من فنون الأدب المختلفة، ولا نستغرب عندما نرى العرب تقيم الأفراح وتفد القبائل الأخرى لتهنئتها، وكأنها في عُرس إذا نَبغ فيها شاعرٌ، فالشعر عند العربي عزيزاً غالياً، وتراثاً زاخراً.

البحـــــــث :

هذا ومِن بين فنون الأدب المختلفة اخترت الحديث عن الشعر في هذه الأوراق البحثية، لأن العرب مطبوعون على الشعر لِبداوتِهم وللبيئة العربية التي عاشوا فيها، وكذلك للخيال الشعري المتمكن منهم، فالبدوي له حريته واستقلاله بأمر نفسه، ويغلب على أحكامه الوجدان الذي يسلك إليه من طريق الشُعور، كذلك حياته ومعيشته فوق أرض نقية التربة، وتحت سماء صافية الأديم، ساطعة الكواكب ضاحية الشَمس، جلت لِحسه مناظر الوجود، وعوالِم الشُهود، فكان خيالهُ مِن ذلك مادة لا يَغورُ ماؤها، ولا يَنضبُ معينها، هام بِها في كل واد، وأفاض مِنها إلى كل مُراد، وكان له مِن لغته وفصاحة لِسانه وقوة بيانه أقوى مُساعِد وأكبر مُعاضِد (7) ، والشعر ينطلق مِن الشُعور، والشُعور هو المنطقة الساخنة التي تُحركُ الإنسان نحو هَدفه، فالأدب لغة مخاطبة الشُعور، فلم تَكُن العلاقة المتبادلة بين الأدب والمجتمع محل شَكٍ على مدى التاريخ الأدبي .

والشاعر هو الذي يقول الشعر الموزون ، وإنما سُمي شاعراً لأنه يشعر بِما لا يشعرُ بِه غيره، فإذا لم يكن عِند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقةً ، ولم يكن له إلا فضل الوزن، ولقد صدق الكاتب والشاعر عباس محمود العقاد (8) عندما قال:

والشِعر مِن نفسِ الرحمن مقتبس والشاعِرُ الفذ بينَ الناسِ رحمَنُ

وأيده في ذلك أمير الشعراء في العصر الحديث شوقي عندما قال :

الشِعر إن لم يكُن وحي وعاطفةً أو حِكمةً فهو تَقطيعٌ وأوزانُ

كما وأن الشاعِر هو الذي يَنظم القَطع والرَجز والطِوال (**حسب الحاجة**) والكامِل مِن الشعر إذا قال في الجميع (9) ، ولعل خيرُ شاهِدٍ على أهمية الشعر في المجتمع هو أخصامُ النبي محمدٍ ـ صل الله عليه وسلم ـ عِندما كان يُعجزهم قرآنه الكريم وسِحر بيانه فلا يجدون حُجةً يَحتجون بِها تِجاه هذا الإعجاز الإلهي إلا أن يقولوا (**إنه شاعِرٌ**) وهذه شهادة للشعر عظيمة، تَرقى بِه إلى أعلى درجات الكمال، هذا ولا ننسى

بأن العَربي يَملك الإدراكَ اللمَّاح والتَعبير المُناسِب الخاطِف الذي يَبعثُ على الدَهشةِ والإعجابِ مِما لم يَكُن مُتوقِعاً ، ولا يؤتاها إلا ذو الحَيوية والبلاغة اللُغوية ، وهو ما يُعبرُ عَنهُ بِسرعةِ البَديهة (10)

عن ابن عباسٍ (11) ــ **رضي الله تعالى عنه** ــ قال : **(إذا قرأتم شيئاً مِن كِتابِ الله فلم تَعرفوه ، فاطلبوه في أشعارِ العَربِ ، فإن الشِعرَ ديوانُ العَربِ)** (12) ، كما لا ننسى بأن الشعر قادرٌ على تَغيير قناعات الكثير مِن الناس ، ولعل في قِصة قَبيلة أنفُ الناقة التي كان يَخجلُ أفرادها مِن نِسبتهم إليها ، حيث تذكر كتب التاريخ أن قبيلة كانت تلقب بـ (أنف الناقة) فكان أبناء القبيلة يشعرون بالحرج والعار من ذكر هذا الاسم بين العرب ؛ فطلبوا من الشاعر الشهير الحُطيئة (13) أن يمدحهم بشعرٍ يسير بين العرب فمدحهم بقصيدة طويلة نذكر منها :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذناب غيرهمُ ومنْ يسوِّي بأنف الناقة الذَنبا
قَوْمٌ إذا عَقَدوا عَقْداً لِجَارِهِمُ شَدُّوا العِناجَ وشَدَّوا فوقه الكَرَبا (14)

فأصبح بنو أنف الناقة يتفاخرون بقبيلتهم بين العرب ويعتزون باسمها، وفي هذا دلالة واضحة على تأثير الشعر في نفسيات الناس والرأي العام ، كما كانت قَبيلة (بنو نَمير) مِن جَمراتِ العرب المستغنين بِقوتِهم وعددهم عن طَلَبِ حِلفٍ مع أحد، وكانوا يَفتخرون بِهذا الاسم ويَمدون بِه أصواتِهم إذا سُئلوا ، إلا أن تَدخل الشاعر الأموي جرير (15) وخاطب عُبيد بن الحُصين الراعي ، وجعل يَهجوهم ويُقللهم مقارنة بِقبيلتي كَعب وكِلاب قائِلاً له :

فَغض الطرفِ إنك مِن نُميرٍ فلا كَعباً بَلغتَ ولا كِلابا
ولو وُضعت شُيوخَ بَني نَميرٍ على المِيزانِ ما عَدلت ذُبابا
أنَعدِلُ دِمنةٍ قَلّت وخَبُثت إلى فَرعينَ فد كَثُرا وطابا
إذا غَضِبت عَليكَ بنو تَميمٍ حَسِبتَ الناسَ كُلهمُ غِضابا (16)

فسَقطوا ولم يَرفعوا بعد ذلك رأسا ، حتى كانوا لا يتسمون بِهذا للاسم ، فإذا قيل للواحِدِ مِنهم ، من أنت ؟ قال : عامِري .

ولنا أن نتأمل صلة الأدب بالمجتمع في أقدم صور الأدب " ولنرجع إلى الوراء ، وإلى ما قبل الشِعر الجاهلي ، إلى أعمق صور للشعر ، وهي الشعر القصصي عند اليونان ، صورة الإلياذة ، فسنجدها لا تتغنى بعواطف فردية ، وإنما تتغنى بعواطف الجماعة اليونانية لعصرها ، مصورة حروبها بطروادة ومن استبسلوا فيها من الأبطال ، ومن

هنا نشأ القول بأن ناظمها ليس هو هوميروس وحده (17) ولنا أن نقيس على ذلك قصة ألف ليلة وليلة في الأدب العربي ، ويقال إن

" للأدب انعكاسات اجتماعية عديدة ، وهو في حد ذاته يعد انعكاسًا اجتماعيا حتى في أكثر موضوعاته ، فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطًا لغويًا . حتى اللغة تفسر من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر (18) .

وفى العصر الجاهلي كان الشعر العربي مرآة عصره ، وصورة من حياة العربي وباديته، أو كما يقال : كان ديوان العرب، أو سجل العرب الذي يصور حياتهم ، ويحكى عاداتهم وتقاليدهم، ويعكس أحوال معيشتهم في صدق تام . ولنا أن نتوقف عند شاعر مثل " (عمرو بن كلثوم 19) الذي دخل التاريخ بقصيدة واحدة تناقلتها الألسنة ، وغنتها القوافل جيئة وذهابا، وأكثر بنو قبيلته (تغلب) من إنشادها جيلاً بعد جيل حتى قال فيهم الشاعر :

ألهَى بنِي تغلبَ عنْ كلِّ مكرُمَةٍ قَصيدةٌ قالها عمرو بن كُلثُومِ
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجالِ لشعرٍ غيرِ مسئومِ

كان الشاعر ولازال صوت القبيلة ولسان حالها المعبر عن أفراحها وأتراحها في كل مراحل حياتها ، وفى كل مواقف الصراع ، وربما لهذا كانت القبيلة في العصر الجاهلي تحتفل بميلاد شاعر بينها ، يوم أن كانت القبيلة بأفرادها ونظمها وعاداتها وديانتها وجهازها القيادي تمثل المجتمع بالنسبة للشاعر .

إلى هذا الحد نكون قد وصلنا إلى أن العلاقة بين الأدب والمجتمع لم تكن هامشية في التاريخ الأدبي ، بل كانت على درجة من الأهمية، ولا يمكن لأي عاقل أن يفصل بين الحياة والأدب، فالحياة أدب وفي الأدب حياة ، وأجمل حياة هي التي يمكن أن يصوغها صائغ الكلام على أوراقه، ليرسلها فتكون كالرياح اللواقح ؛ تلقح النفوس المتعطشة للخير والإنسانية ، ذلك أنّ الأديب أقدر من غيره على الغوص في أعماق الناس ، وملامسة دواخلهم ، فتكون كلماته بلسماً لأرواحهم تُتلى آناء الليل، وأطراف اليأس والإحباط، وهو ما وجدناه في هذه الظروف الراهنة من تاريخ أمتنا، فعلينا أن نعد هذه المرحلة مِن تاريخ أمتنا العربية مرحلة اليقظة الثانية بعد مرحلة اليقظة الأولى التي ظهر فيها جيل جديد مِن الشعراء ، فتح عينيه على ذاته ، وعلى تاريخ أمته الحقيقي ، وراح يتعقب أسباب تخلف أمته، وعوامل جُمود مجتمعه وركاكة أدبه ، وكان مِن زعماء هذه المرحلة على سبيل الحصر : محمود سامي البارودي (20) وإسماعيل صبري (21) وحافِظ إبراهيم (22) وأحمد شوقي (23) مِن مصر (24) ،

وأبو القاسم الشابي (25) مِن تونس ، وأحمد الشارف (26) وأحمد رفيق المهدوي (27) وأحمد قنابة (28) وعلي الرقيعي (29) ، وآخر هؤلاء جميعاً نورس الشعر الليبي المرحوم عبد المولى محمد البغدادي (30) ، إذا بلغ الشعر الوطني ذروته في العصر الحديث على لسان أمير الشعراء أحمد شوقي ؛ فلقد كان أحد الذين حملوا لواء النهضة الشعرية في العصر الحديث ، وتغنَّى بالوطنية ، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في مصر والشرق صداها في شعره ، وكان له أثره وفضله في تغذية الحركة الوطنية بعيون الشعر الوطني ، انظر إليه في هذه القصيدة المختارة ، وهو يعتب ويلوم على العرب لاختلافهم وتفرقهم وتشتتهم ، وعدم اتحادهم واعتصامهم الذي طالبهم به الله تعالى في محكم كتابه وعند قوله : **(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)** **(31)** ، فيقول :

إلامَ الخُلفُ بَينَكُمُ إلاما ... وَهَذي الضَجَّةَ الكُبرى عَلاما
وَفيمَ يَكيدُ بَعضُكُمُ لِبَعضٍ ... وَتُبدونَ العَداوَةَ وَالخِصاما
وَأينَ الفَوزُ لا مِصرُ استَقَرَّت ... عَلى حالٍ وَلا السودانُ داما
وَأينَ ذَهَبتُمُ بِالحَقِّ لَمّا ... رَكِبتُم في قَضِيَّتِهِ الظَلاما
لَقَد صارَت لَكُم حُكماً وَغَنماً ... وَكانَ شِعارُها المَوتَ الزُؤاما
وَثِقتُم وَاتَّهَمتُم في اللَيالي ... فَلا ثِقَةً أَدَمنَ وَلا اتِّهاما
شَبَبتُم بَينَكُم في القُطرِ ناراً ... عَلى مُحتَلِّهِ كانَت سَلاما
إِذا ما راضَها بِالعَقلِ قَومٌ ... أَجَدَّ لَها هَوى قَومٍ ضِراما
تَرامَيتُم فَقالَ الناسُ قَومٌ ... إِلى الخِذلانِ أَمرُهُمُ تُرامى (32)

وهذا الشاعر التونسي الكبير أبو القاسم الشابي ، الشاعر الذي حمل في قلبه حب الوطن ، ومحاربة التخلف والجهل ، إذ أدرك جليّاً مدى خطورة الأفكار والسيطرة الاستعمارية على العقول وحشوها بكل ما يبقيها فقيرة جاهلة وجائعة ، فثار رغم آلامه ومرضه ، يزرع الحماس في قلوب المواطنين ، ويوقظ الضمائر المسلوبة الإرادة ، ويدعو بنهضة وثورة على الجهل والذل والظلم ، وقد عانى كثيرا أمام صدود غالبية الناس واستنكارهم لأفكاره ، يقول الشابي :

إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، يا شعبي ... لأقضي الحياةَ، وحدي، بيأسِ
إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، علّي ... في صميمِ الغاباتِ أدفنُ بؤسي
ثم أنساكَ ما استطعتُ، فما أنتَ ... بأهلٍ لخمرتي ولكأسي
سوف أتلو على الطيورِ أناشيدي، ... وأفضي لها بأشواق نفسي
فهي تدري معنى الحياةِ، وتدري ... أنّ مَجْدَ النفوسِ يقظةُ حسّ

ثَمّ أقْضي هناك، في ظلمة الليل، وألْقي إلى الوجود بيأسي
ثم تَحْت الصَّنَوبَرِ، الناضر، الحلو، تخُطَّ السيولُ حفرةَ رمسي
وتظَلَّ الطيورُ تلغُو على قبْرِي ويشدو النسيمُ فوقي بهمسِ
وتظَلَّ الفصولُ تمشي حواليّ كما كُنّ في غضارَةِ أمسي (33)

وهؤلاء أعلام مِن شعراء الشعر الليبي الذين تغنوا بالوطن وللوطن ، وكان لهم لسان صدق يجهر بالحق في وجه الاستعمار ، ويطالب بالحرية ونيل الاستقلال ، ولعل أول صوت نادى بذلك شيخ الشعراء في ليبيا الشاعر أحمد الشارف حيث يقول :

رضينا بحتف النفوس رضينا ولم نرض أن نعرف الضيم فينا
ولم نرض بالعيش إلا عزيزا ولانتقي الشر بل يتقينا
فما الحر إلا الذي مات حرا ولم يرض بالعيش إلا أمينا
وما العز إلا لمن كان يفدي ذماما ويفني عليه الثمينا
وما الخزي والعار إلا لشخص إلى وطن العز أضحى مهينا
ونحن فروع زكت من أصول فنحيي مآثرنا ماحيينا (34)

وهذه القصيدة المعبرة التي نظمها الشاعر أحمد رفيق المهدوي **سنة 1949 م** ، وكأنه نظمها اليوم أو أمس ، حيث يقول فيها **:**

قالوا تكلم قلت لا حتى أرى ما في القضية من طبيخ يطبخُ
إني أخاف بان أكون كزامر للصم أو في غير نار انفخُ
قلبي يحدثني بأن ممثلاً خلف الستائر للحقائق يمسخُ
أما الذي هو في الحقيقة حاصل شعب يباد وأمة تتفسخُ
ماذا أقول وما تراني قائلاً أنا ساكت لكن قلبي يصرخُ
أبكي على شعبٍ يسيّر أمره متزعمون وجاهلون وأفرخ
إني لأعجب كيف كل الناس لم يتفطنوا لمدجل يتشيخُ
أفلا يخاف الله في أوطانه أم فاته إن الزمان يؤرخُ (35)

وقد كتب شاعر ليبيا إبراهيم الأسطى عمر قصيدة نشرت بصحيفة الوطن عام 1950 م ، وتضمنها ديوانه الشعري بعنوان (**جواب**) يقول فيها **:**

قيل صمتاً فقلتُ لست بميت إنّما الصّمت ميزة للجماد
إنّ معنى الحياة قول وفعل وهي رمز مقدّس للجهاد
لا أطيق السّكوت مادام قلبي خافقاً واللّسان يروي مُرادي
إنّما البلبل المغرّد يشدو أينما كان في الرّبى في الوهاد
ذاك دأبي مدى الحياة وإنّي لا أبالي بما تجيء العوادي
لا أظن الأقفاص مهما ادلهمت تمنع الطّير لذّة الإنشاد
إنّما الرّزق والمعيشة والموت جميعا بأمر رب العباد (36)

فإذا ما قفزنا على رقاب قامات من رواد الشِعر الليبي لِنقف أمام آخر فحول الشعر الليبي ، أو ما يطلق عليه (**نورس الشِّعر**) المرحوم الشاعر عبد المولى البغدادي ، عميد الشعراء الليبيين ، أعز من استحضر الوطن ، وحرَّض المجتمع على النهوض بِهِ ، وعبر عنه بالنظم في أغلب قصائده الشِعرية ، وخاطب منِ خلاله الشباب ، عِماد الأمة ، وأمل البلاد متوقف على رقيهم ، لذلك نظم أغلب قصائده الشعرية في تحريض الشباب على التعلم والتحلي بِمكارم الأخلاق ، وعدم تقليد الغرب الذي يريد تمييع الشباب والتغرير به ، حيث يقول في واحدة مِن قصائده الموجهة للشباب :

ها هي الفرصة الأخيرةُ لاحتْ ... يا بنينا لكيْ نُعيدَ السلاما
يا بنيَّ اجْنحوا إلى السِّلْمِ حتى ... لا تضيعوا كتائبًا ونظاما
يا بني اسْتحوا فقد طفح الكيل ... وصارتْ أحقادنا ألْغامَا
لو تمنّى شارون شر انتقام ... ورآنا لقال يكفي انْتقامَا
يا بنيَّ افْتحوا على الصلح بابا ... ودعُونا نستقبلُ الأنْسامَا (37)

وفي قصيدة أخرى يخاطب شاعرنا المرحوم البغدادي الجميع بأن يجعلوا الوطن أكبر همهم ، ومبلغ تطلعاتهم ، ويكفي الجميع تفرق وتشتت وتخريب وقتل ، والعودة إلى التحابب والتقارب ، فيقول :

أحِبَّائي أعزائي ... رفاق السِّلْمِ والحَرْبِ
ونحن على أكف الريح ... من كَرْبٍ إلى كَرْبِ
ويقْتُلُ بعضُنا بعضاً ... بِلا جُرمٍ ولا ذَنبِ
فماذا لو تناغَمْنا ... على قيثارة الحُبِّ
وماذا لو تصافيْنا ... وذُقنا لذة القربِ
فما العيْشُ اللذيذ الحلو ... إلا راحةَ القلبِ
وما الإنسانُ لولا الحُبِ ... إلا آلةَ الحَرْبِ (38)

هؤلاء نماذج مختارة مِن شعراء حركوا المجتمع مِن خلال الكلمة المنظومة ، وأشعلوا جذوة الثورة في نفسوهم ، فاندفعت الجموع تطالب بالثورة وتكسير القيود ، ويحضر الباحث هنا ما كتبه شاعر تونس الأول أبو القاسم الشابي عندما قال في قصيدته التاريخية (**إرادة الحياة**) :

إذا الشّعْبُ يَوْماً أرَادَالْحَيَاةَ ... فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدَر
وَلا بُدَّ لِلّيْلِ أنْ يَنْجَلِي ... وَلا بُدَّ للقَيْدِ أنْ يَنْكَسِر (39)

فرد عليه أحد الشعراء معارضاً بقوله :

أبا القاسم قد أردنا الحياة فثرنا ... لها واستجاب القدر
وها ليلنا قد بدا ينجلي ... وها قيدنا قد هوى وانكسر

وها فجرنا قد أطلّ علينا ... يُطارد ظلما توارى اندحر
أبا القاسم قد صعدنا الجبال ... ولم نرض بالعيش بين الحفر
ولم نرض غير البلاد بديلا ... نموت ونحيا هنا كالشّجر
هنا قد أريقت دمانا وسالت ... تُروّي البطاح وتَروي الحجر
هنا مات يحيى هنا مات حامد ... هنا مات زين الشّباب عمر
هنا مات ساسي هنا مات قاسم ... بعُمْر الرّبيع ربيع العُمُر
هنا أمسنا يومنا غدنا ... هنا الأرض والأصل والمستقرّ
ومازال شعبي يفُكّ القيود ... فنحن نموت لكي ننتصر (40)

وبعد؛ فهذا هو الأدب ، وهذا هو دوره المناط بهِ في وعي وتثقيف المجتمع ، والوصول بِهِ إلى مصاف الدول المتقدمة علمياً وعملياً .

الخاتمـــــة :

وبعد، فإنه مِن السُـــنن الحَميدة ، ومِن المآثر الطيبة ، إقامة مثل هذه اللقاءات والملتقيات في المؤتمرات العلمية ذات الفائدة الكبيرة ، والمنفعة العالية للدفع بالعملية التعليمية إلى الإمام ، ومِن بينها هذا المُلتقى العلِمي الذي يتمنى الباحث مِن أن يُحقق الأهداف التي انعقد مِن أجلها .

هذا وقد تطرق الباحث في مجمل هذه الأوراق البحثية إلى الحركة الأدبية على مر التاريخ ، وامتداد العصـــور ، حيث لعِب الأدب الدور الأبرز في حياة الشُـــعوب ، وعرفت هذه الشُـعوب القيمة الحقيقية لهذا الأدب فأولتهُ مِن العنايةِ والرعايةِ والاهتمام ما يسـمو بِمكانتهِ ، ويُعلي مِن قيمتهِ ، فالأدب بِكل أشـكاله (**شِـعر ، قصـة ، رواية ، مقالة**) له تأثير كبير على الإنســان إذا تم اسـتغلاله الاسـتغلال الصـحيح ، ونتيجة لانتشـار الأدب توسـعه وانتشـاره أصـبح سِلاحاً في يد مِن يملكه ليعمل بِه ما يُريد في المجتمع ، لذلك كان مِن أوجب الواجبات أن يتم أســية أي دور الأدب وأهميته لنقطف مِنه الثمرة التي نريد ، ونتجنب بِه تأثيره الهدام على مجتمعنا .

ومن بين فنون الأدب السالفة الذكر ، فقد وقع اختيار الباحث على الشِعر ، المنطلق مِن الشُعور ، تلك المنطقة الساخنة التي تُحرك الشاعر نحو هدفه ، وتجعله ينطق بالِشعر ، وإذا كان الشـــاعر الأديب والمؤرخ المرحوم خليفة محمد التليســي (41) فد كتب في جريدة (**فزان**) مقالاً يوم **10 يوليو 1958 م** مقالاً يقول فيه : (**إن القصـــة هي أدب العصر**) فإننا نقول في هذا الصدد بأن : (**الشِعر ديوان العرب**) ولذلك فقد اتجهنا نحو الشِعر والشعراء وعلاقتهم بالمجتمع باستعراض نماذج مختصرة مِن شعراء جاهليين غيروا نظرة المجتمع من الأحســن إلى الأســوأ (**قصـــيدة جرير في قبيلة نَمير**) ،

والعكس ، مِن الأسوأ إلى الأحسن (**قصيدة الحُطيئة في قبيلة بنو أنفِ الناقةِ**) وقبل ذلك كيف استسلمت قريش لمفاوض الأعشى الشاعر أبو سفيان ، وجمعت له مائة ناقة لتثنيه عن اعتناق الإسلام ، وكم كانت فرحتها كبيرة بقبوله هذا الثمن المُغري .

إنه الشعر وسيلة الإعلام في عصور مختلفة مِن تاريخ الأمم ، واليوم ، حيث الآداب في هذا الزمان مختلفة كثيراً ، فلم تعد تقتصر على شعرٍ يقال في سوق أو خطبةٍ تلقى على مسامع الناس، أو صحيفة ذات توجه مُحدد ؛ بل أصبحت متنوعةً بشكل كبير كما أصبح تأثيرها أكبر، وأخطر حيث القنوات التلفزيونية، والأفلام السينمائية، وتطبيقات الهاتف الجوال ووسائل التواصل الاجتماعي (مواقع الإنترنت) ، والمجلات والصحف، مما يجعلها تسرق الأنظار وتغير الأفكار وتتسلل إلى داخل البيوت المُغلقة وتقتحم جدران العقيدة وتتغلغل في أسوار الثقافة ، وكلما كانت تلك الوسائل مُبهرة ومتنوعة وتحاكي كل الفئات والمجتمعات كان تأثيرها أكبر وأعظم ، ومِن هنا يستطيع الأدب بِقوته أن يصبغ عقول الناس بصبغة واحدة رغم اختلاف العقائد والثقافات والأجناس وصرف توجهات الناس حسب ما يراه أو بما يخدم قضاياه أو سياسته ، وهو نوعٌ من أنواع القوة الناعمة (**الخارقة**) التي تُسيطر على الشعوب وتُركعها إذا أحسن الأدباء استغلالها لصالِحهم .

التوصيات الباحث :

1 ـــــ يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بالأدب العربي خاصة ، وبالآداب الأخرى عامة حيث الآداب تأخذ مِن بعضها نتيجة للترابط الحضاري والفكري بين أبناء المجتمعات المتباينة والمختلفة .

2 ــ يوصي الباحث بِضرورة الاهتمام بالأدباء على اختلاف شرائِحهم وألوانِهم الأدبية ؛ لأن الأدباء يعتبرون القلب النابض للأمة .

3 ـــــ حيث إن الشِعر (**ديوان العرب**) وما للشعراء مِن أهمية قصوى في المجتمع فالباحث يوصي بالاهتمام بالشعراء الذين يعبرون عن حال المجتمع نظماً يسهل على أفراد المجتمع روايته حفظه وتدوينه للأجيال القادمة .

4 ـــــ لِما للمناشط الأدبية مِن دور فعال في المجتمع فالباحث يوصي بِضرورة قيام المناشط الأدبية والثقافية في كافة فنون الأدب المختلفة ، وتشجيع الشباب على أهمية الانخراط في هذه المناشط ، ورصد الجوائز التشجيعية للمتميزين فيها .

5 ـــــــ ضرورة إصدار الكتب الدوريات والمجلات والصحف ومتابعة الحياة الأدبية اليومية في المجتمع ، والاهتمام بالمراكز الثقافية والأندية والصالونات الأدبية وبنائِها في كل مدينة وتشجيع الشباب للانخراط فيها .

6 ـــــــ لمَا للحركة العامة للكشافة والمرشدات مِن دور هام وفعال في بناء المجتمع والعمل على رُقيه وازدهاره وتوجيه أفراده التوجيه السليم ، يقترح الباحث تفعيل هذه الحركة العالمية ، وضرورة إقامة مفوضية في كل بلدية من بلديات بلادنا ، ودعمها بالإمكانيات المادية والمعنوية اللازمة لتحقيق أهدافها ، وتقديم الحوافز التشجيعية للمبدعين في أنشطتها .

7 ـــــــ ضرورة الاهتمام بِمثل هذه المُلتقيات والمؤتمرات العِلمية ودعمها وتشجيع الأدباء والكتاب والباحثين على ضرورة المساهمة فيها بأبحاثهم ومشاركاتِهم العلمية ومقترحاتهم ، حتى تُعطي مِثل هذه اللقاءات ثِمارها غَضةً طرية .

هوامش مصادر ومراجع البحث :

(1) المُعجم المُفصل في الأدب **1 : 46** ، دكتور عبد السلام التونجي ، دار الكتب العِلمية ،بيروت / لبنان ط1 ، 1993 م .

(2) المرجع السابق **2 : 48** .

(3) المدخل الاجتماعي للأدب **ص 103** ، شَوقي ضيف ، **القاهرة ، دار المعارف ، ط8 .**

(4) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جَندل ــ أبو بصير ــ مِن بني قيس بن ثَعلبة ، المعروف بأعشى قَيس ، يلقب **بِصنَّاجة العرب** ، عاش عُمراً طويلاً ، أدرك الإسلام ولم يُسلم ، ينظر الأعلام **7 : 341** ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، **ط 2 ، 1997 م .**

(5) أبو سفيان : هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، صحابي ، من سادات قريش في الجاهلية ، قاد قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق ، أسلم يوم فتح مكة عام **8 هـ** ، وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن ، شهد حنيناً والطائف التي فقد فيها إحدى عينيه ، ثم فقد الأخرى يوم اليرموك فعمي ، ولما توفى رسول الله ρ كان عامله على نجران ، فجاء المدينة المنورة التي مات بها عام **652 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **3 : 201** .

(6) أشعار الشعراء الستة الجاهليين (**اختيارات مِن الشِعر الجاهلي**) **ص 256 ، 257 ، جـ 2-** ، اختيار العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف (الأعلم الشنتمري) تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت / لبنان ، **ط 3 ، 1983** م .

(7) جواهِر الأدب في أدبيات وإنشاءِ لُغة العرب **ص 25 ، جـ1** ، تأليف المرحوم السيد أحمد الهاشمي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة **ط27 ، 1969 م .**

(8) عباس بن محمود بن العقاد ، مصري ، ولد في دمياط عام **1889 م** ، عمل أحد أجداده في عقادة الحرير فعرف بالعقاد ، من المكثرين كتابة وتصنيفاً ، اقتصرت دراسته على المرحلة الابتدائية فقط ، يجيد الانجليزية والفرنسية والألمانية ، مات بالقاهرة ودفن في أسوان عام **1964 م** ، ينظر الأعلام للزركلي **3 : 266** .

(9) المُعجم المُفضل في الأدب **2 : 523** .

(10) المرجع السابق **2 : 543**

(11) ابن عباسٍ : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشِمي ــ أبو العباس ــ حِبر الأمة ، ولد بِمكة المكرمة عام **3 ق هـ** ، نشأ في بيت النبوة ، سَكن الطائف ومات بِها سنة **68 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **4 : 95 .**

(12) في تاريخ الأدب الجاهِلي **ص 444** ، الدكتور علي الجندي ، مكتبة دار التراث الأول ، طبع بِمطابع دار التراث للعام **1991 م** .

(13) الحُطيئة : هو جَرول بن أوس بن مالك العَبسي ــ **أبو مَليكة** ــ شاعِرٌ مُخضرم ، أدرك الجاهِلية والإسلام ، كان هجاءاً عنيفاً لم يكد يسلم مِن لِسانهِ أحد ، مات نحو سنة **45 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **2 : 118 .**

(14) ديوان الحُطيئة بِشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، **ص 45** ، تحقيق نعمان أمين طه ، ماجستير في الأدب العربي ، جامعة القاهرة ، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحَلبي وأولاده بِمصر

(15) جَرير : هو جَرير بن عَطية بن حُذيفة الخَطفي بن بَدر الكَلبي ، مِن تَميم ، أشعر أهل عَصره ، ولد ومات باليمامة نحو سنة **110 هـــ** ، عاش عمره يساجل ويناضل شُعراء زمانه ، كان هجاءاً مُرَّاً ، ومِن أغزل الناسِ شِعراً ، جمع المؤرخون نقائضهُ مع الفرزدق ، ينظر الأعلام للزركلي **2 : 119**

(16) ديوان جرير ص **62** ، دار بيروت للطباعة والنشر **1986 م** .

(17) المدخل الاجتماعي للأدب ، شوقي ضيف ـ القاهرة ، دار المعارف **ـ ط 8 صـ 96 .**

(18) الثقافة والعولمة **(صراع الهويات والتحديات)** أحمد فراج ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ كتاب أبحاث المؤتمر الرابع لإقليم غرب ووسط الذلتا سنة **2003 ـ ص ـ96**

(19) عمرو بن كلثوم : أبو الأســـود عمرو بن كلثوم بن مـالك التغلبي ، أمـه ليلى بنت المهلهل أخي كليب ، نشأ عزيز الجانب ، أنوفاً ، معجب بنفسه أشد الإعجاب ، ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وعمر طويلاً وقيل أنه بلغ من العمر مائة خمسين عاماً ، مات نحو عام **600 م** .

(20) محمود سامي البارودي : ابـــن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري ، أول من نهض بالشعـر العـربي مـن كبوتـه فـي العصـر الحـديث ، وأحد القادة الشجعان ، جركسي الأصل ، ولد بالقاهرة وتوفى بها عام **1322 هـ** ، ينظر الأعلام **7 : 171** .

(21) إسماعيل صبري : مــن شعراء الطبقة الأولى فــي مصر ، ولد بالقاهــرة **عام 1854 م** ، تعلم بالقاهرة ، ودرس الحقوق بفرنسا ، وتدرج في مناصب عدة بمصر ، امتاز بجمال شعره ، وبراعته في النكتة وسرعة الخاطر ، مات بالقاهرة **عام 1923 م** ، ينظر الأعلام للزركلي **1 : 315** .

(22) حافظ إبراهيم : هو محمد حافظ إبراهيم فهمي المهندس ، شــاعر مصــر القومي ، ولد ســنة **1871 م** ، مات والده بعد عامين من ولادته ، ثم ماتت أمه بعد أن جاءت به إلى القاهرة ، نظم الشـعر في أيام الدراسة وعمل بالمدرسة الحربية وحارب فــي السودان ، ثم عــاد إلــى وطنــه مصر ولقـب بشاعـر النيـل ، توفى بالقاهرة عام **1932 م** ، ينظر الأعلام **76:6** .

(23) أحمد شوقي علي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصـر ، ولد بالقاهرة عام **1878 م** ، يلقب بأميـر الشعـراء ، وأول مـن جوّد القصص الشعـري التمثيلي ، مـن آثاره الشوقيات ، مـات بالقاهـرة عام **1932 م** ، ينظر الأعلام **1 : 136** .

(24) الجامع في تاريخ الأدب العربي **(الأدب الحديث) ص 123** ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، **ط1 ، 1986 م .**

(25) أبو القاسـم بن محمد الشــابي : هو أبو القاسـم بن محمد بن أبي القاسـم الشــابي ، ولد في قرية الزارات بولاية توزر **(عاصـــمة الواحات التونســـية)** في **24 فبراير 1906 م** ، تخرج من جامعة الزيتونة ، شاعر كبير ، في شعره نفحات أندلسية ، مات شاباً بمرض الصدر في العاصمة التونسية يوم الاثنين **9 أكتوبر 1934 م** ، ودفن بمسقط رأسه مدينة توزر ، ينظر الأعلام للزركلي **5 : 185** .

(26) أحمد الشـارف : ولد بمدينة زليطن عام **1864 م** ، قاضٍ شَرعي وشاعر ليبي كبير ، درس في الزوايا وبعض المعاهد الدينية ، مارس القضاء أكثر من نِصف قرنٍ ورأس المحكمة العُليا ، توفى سنة **1959 م** ، ينظر الأعلام للزركلي **1 : 134 .**

(27) أحمد رفيق المهدوي : ـــ البرقاوي ـــ شاعر ليبي كثير النظم ، ولد في قرية فسَّاطو بشجبل نفوســة عام **1898 م** ، تعلم بالإســكندرية ، عمل كاتبا ببلدية بنغازي ، شــارك في الحركة الوطنية ، وعين عضــواً في مجلس الشــيوخ الليبي ورئيســاً له ، توفى أثناء عملية جراحية أجريت له في أثينا العاصمة اليونانية سنة **1961 م** ، ينظر الأعلام للزركلي **1 : 126 .**

(28) أحمد قنابة : شـــاعِر ليبي ، ولد في زندر بالنيجر عام **1898 م** ، تلقى معارفه ومارس وظائفه في طرابلس الغرب ، وفي ثراها كان مثواه الأخير ســـنة **1968 م** ، ووســـد الثرى في اليوم التالي ، تولى تَحرير جريدة (**طرابلس الغرب**) ووظيفة مدير مكتبة الأوقاف بِطرابلس الغرب حتى وفاته ، كان عضـواً في النادي الأدبي بِطرابلس ، وعضـواً بالحِزب الوطني في الأربعينات ، معجم الشـعراء الليبيين (**شُعراء صدرت لهم دواوين**) عبد الله سالم مليطان ، **جـ 1 ص 131 ، ط1 ، 2008 م** ، دار مِداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني ، طرابلس / ليبيا .

(29) علي الرقيعي : هو علي محمد علي الرقيعي ، من مواليد مدينة طرابلس ســـنة **1934 م** ، بها تلقى تعليمه ، من الشـعراء المتميزين بنصـهم الشـعري المفعم بالغنائية والعذوبة وشـحنة الرومانسـية الهـادئـة ، انتقل إلى رحمـة الله تعـالى عام **1966 م** ، إثر حادث ســـيارة أليم ، ينظر معجم الشـــعراء الليبيين **1 : 371** .

(30) عبد المولى محمد البغدادي ، شـاعر وكاتب وأسـتاذ جامعي ليبي ، ولد في شـط الهنشـير بمدينة طرابلس ليبيا في **7 مارس 1938 م** ، من مؤلفاته لشـــعر الليبي الحديث ، مذاهبه وأهدافه (**أطروحة دكتوراه في جامعة الأزهر**) وديوان (**على جناح نورس 1999 م**) ، وقصـــيدة (**مولاي عبدك بين اليأس والأمل 2000 م**) ، أصـــيب بمرض فيروس كورونا **2019** ، وتوفي يوم الجمعة **20 نوفمبر 2020** .

(31) الآية **103** من سورة آل عِمران .

(32) الشوقيات ، **ص 178** ، أحمد شوقي ، راجعه وضبطه يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، **2008 م .**

(33) ديوان أبو القاسم الشابي ، ص **249** ، دراسة وتقديم الدكتور عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، **1988** م .

(34) أحمد الشارف (**دراسة وديوان**) **ص 103** ، علي مصطفى المصراتي ، **ط 3** ، الدار الجماهيرية ، مصراتة / ليبيا ، **2000 م** .

(35) ديوان شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوي (**الفترة الثالثة**) **ص 150** ، **ط1** ، المطبعة الأهلية بنغازي ، ليبيا ، **1962 م .**

(36) ديوان البلبل والوكر للشاعر إبراهيم الأسطى عمر ، جمعه عبد الباسط سليمان الدلال وعبد اللطيف محمد شاهين ، **ط1** ، **1967 م** .

(37) نشرت القصيدة بتاريخ **31 مارس 2018 م** ، الشبكة الدولية للإنترنت .

(38) نشرت القصيدة بتاريخ **14 سبتمبر 2018 م** ، الشبكة الدولية للإنترنت .

(39) ديوان أبو القاسم الشابي ، ص **406** ، دراسة وتقديم الدكتور عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، **1988** م .

(40) لم أعثر على اسم الشاعر مُعارض القصيدة فيما وقع تحت يدي من الدواوين المراجع (**وأغلب الظن أنه من ليبيا**) .

(41) خليفة محمد التليســي ، ولد بطرابلس الغرب في **19 مايو 1930 م** ، أديب ومؤلف ليبي ، يكتب في مجالات الشعر والتاريخ والقصة إضافة إلى الترجمة ، له ما يقارب من الخمسين مصنفاً في شتى مجالات العلوم ، مات بأحد مستشفيات مدينة طرابلس يوم الأربعاء **13 يناير 2010 م** عن عمر ناهز الثمانين عاما ، ويكيبيديا (**الموسوعة الحرة**) .